الأهرام

المصدر : .....

التاريخ : ١٨ ذو الحجة ١٤٠١هـ

المجتمعات الاسلامية في أوروبا الغربية

هناك خلاف جوهري بين المجتمعات الاسلامية في اوروبا الشرقية وبين المجتمعات الاسلامية في اوروبا الغربية ، ذلك ان المجتمعات الاسلامية في شرق اوروبا هي مجتمعات ابناء البلاد الاصليين في حين ان الغالبية العظمى التي تشكل المجتمعات الاسلامية في غرب اوروبا وفدت اليها من الاقطار الاسلامية في الشرقين الاقصى والادنى تبعا للصلات التي تربط بين البلد المهاجر منه في الشرق وبين البلد المهاجر اليه في الغرب ، ونحن نعلم ان القرن الماضي شهد الهجمة الاستعمارية الشرسة من الغرب على الشرق ، واقتسمت الدول الاستعمارية فيما بينها العالم الاسلامي الا قليلا .

ففي فرنسا مثلا تجد الغالبية العظمى من المسلمين قادمين من بلاد المغرب العربي ، وفي انكلترا تجد السواد الاعظم من المسلمين قادم من شبه القارة الهندية ، ثم البلاد الافريقية وجزر الهند الغربية التى وقعت تحت حكم الاستعمار الانكليزي ، وكذلك تجد معظم المسلمين في هولندا من اندونسيا .

وسر ذلك ان هذه الدول اضطرت الى الاستعانة ببعض سكان المستعمرات في القيام ببعض الاعمال المتواضعة مما نتج عنه تزايد اعداد هؤلاء واستقرارهم وقد شجع على استمرار ذلك ان هؤلاء المهاجرين وجدوا في البلاد الأوروبية فرصا للعيش لم تكن ميسرة في بلادهم ، ووجدوها وسيلة للارتفاع بمستوى معيشتهم والاستفادة بالميزات الاجتماعية والثقافية والصحية الميسرة للغربيين في بلادهم ومن ناحية اخرى وجد اصحاب الأعمال في اوروبا في هؤلاء فرصة لتحقيق عمالة بتكاليف أقل واجور متواضعة كثيرا عما يدفعونه لأبناء جلدتهم من الأوروبيين .

من الكومنولث والمغرب العربي

ويمكن ان يقال ان المجتمعات الاسلامية في اوروبا تشكلت تبعا للصلات السياسية التي قامت بين الدول التي قامت فيها هذه المجتمعات والدول التي هاجرت منها ، ففي انكلترا مثلا نجد غالبية المسلمين من دول الكومنولث البريطاني ، وفي فرنسا نجد معظم المسلمين من الدول المتحدثة باللغة الفرنسية في المغرب العربي ، وفي افريقيا وهلم جرا ، الا انه يستثنى من هذه القاعدة المجتمعات الاسلامية

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

من اصل تركي والتي استوطنت بعض بلاد اوروبا مثلا المانيا والنمسا ، فافراد هذه المجتمعات قدموا اليها من تركيا ذاتها بعد الحركة الكمالية ، ومن بلاد اوروبا الشرقية فرارا من الزحف الشيوعي وسيطرته على بلادهم .

ولا شك ان جانبا من سكان البلاد الاصليين قد اعتنقوا الاسلام واخذوا يشكلون قطاعا بين تلك المجتمعات وقد نما عددهم في السنوات الاخيرة نموا شمل كل المستويات الفكرية والثقافية من طلاب واساتذة وباحثين واصحاب اعمال ، وفنيين وعمال ، ويرجح هذا النمو الملحوظ الى عدة عوامل من اهمها اتساع حركة الهجرة من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق وازدياد اتصال الشعوب بعضها ببعض اتصالا مباشرا جعل كلا منهم يعرف عقائد الاخر ومناهج سلوكه ونمط اخلاقه وطرق تعامله معرفة مباشرة تقويه على الاختلاط وليست مأخوذة عن آراء اودعها بعض الكتاب كتبا لم يراعوا فيها الحقيقة ، وقيام مصالح تجارية واقتصادية وصناعية دعا اليها وجود المواد الخام في بلاد الشرق الاسلامي بوجه عام ، وتقدم الصناعات في بلاد الغرب المتقدم صناعيا .

وقد يكون من المفيد ان نسجل هنا ما كتبه تولستوي في هذا المضمار ، فقد ضاق بالنظرة المتحاملة ضد الاسلام ونبيه فكتب عن النبي يقول : لا ريب ان هذا النبي من كبار رجال المصلحين ، الذين خدموا البيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا انه هدى امة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تجنح الى السلام، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا .

ويكفيه فخرا انه فتح طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا شخص اوتي قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال .

نزع صك الغفران

ولكن الكنيسة لم تطق ان تسمع كلمة حق من رجل جهير الصوت مثل تولستوي يقولها منصفا للاسلام ونبيه ، فأصدر البابا قرارا بحرمانه من رحمة الله ، وهذا الموقف يدلنا على روح التعصب المقيت الذي كان يسود الغرب انذاك ، هذا الاتجاه المنصف الذي راينا بوادره عند رجل مثل تولستوي في مطلع القرن اتسع مداه، وزاد تأثيره في تغيير نظرة الاوروبيين الى الاسلام بعد ان اعتنق عدد من المثقفين والمفكرين الاوروبيين الاسلام بعد ان طرقوا ميدانه كغيرهم من المستشرقين ، الا انهم اخذوا بما اكتشفوه في الاسلام من وضوح الرؤية وصفاء العقيدة ، ومسايرتها للمنطق السليم، وتواؤمها مع الطبيعة البشرية السوية واقناعها لتطلعات العقل ، ونوازع القلب ، وهواتف الروح ، حتى صرنا نجد العديد من المؤلفات الجادة عن الاسلام وعقيدته ، وكتابه ونبيه وتاريخه وحضارته ، واخلاقه ومثله بلغات اوروبية مختلفة كتبها مسلمون ومفكرون اوروبيون ، وبخاصة في الفرنسية والانكليزية .

وهذه العوامل ادت الى ازدياد فرص التفهم لطبيعة الاسلام عند الأوروبيين على اختلاف نزعاتهم الفكرية واوضاعهم الاجتماعية ، وقد قوى فرص هذا التفهم المخالطة عن قرب بين المسلمين والأوروبيين سواء في الشرق او في الغرب ، وكذلك عن اتاحة الفرصة لقراءة الاسلام في مصادره الأولى ، بعيدا عن تشويه المستشرقين ومغالطتهم التي اخذت الأجيال السابقة منهم على عاتقها ان تروجها عن الاسلام بين جمهور القراء من الأوروبيين .

الصورة تتغير

اما الان فقد تغيرت الصورة بشكل ملحوظ عما كانت عليه من قبل ، وان كان لم يزل في ميدان المشتغلين بالاسلاميات في اوروبا عدد ممن انطوت صدورهم على الكيد للاسلام ، ولكنهم يحسبون الف حساب لاخرين من ابناء اوروبا الذين اتيحت لهم الفرصة لمعرفة الاسلام من مصادره مباشرة ، ولابناء المسلمين الذين يقرأون بتلك اللغات خشية من ان يردوا عليهم مقالهم ، وان يظهروا عدم انصافهم ، وخطأهم فيما كتبوا والنتيجة ان يظهر للناس انهم اما جهلاء بحقائق الاسلام واما حاقدون ، وكل من الحالين مر بالنسبة لهم .

هذا الذي ذكرناه يقدم صورة مجملة عن الاسلام في اوروبا الغربية بوجه عام ، ولكننا نريد هنا ان نقدم نموذجا للمجتمع الاسلامي في انكلترا نابعا من التجربة الشخصية التي عايشنا فيها المسلمين في انكلترا على مدى اربعة عشر عاما درسنا عن قرب احوالهم ، وشاركنا في ايجاد كثير من الحلول للمشاكل التي واجهتهم ، واعترضت طريقهم .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

مليون مسلم في انكلترا

ولعلنا نتساءل فيما بيننا كم يبلغ عدد المسلمين في انكلترا ؟ ، وما هي المصاعب التي واجهتهم في حياتهم الجديدة ، وكيف تغلبوا عليها .. ؟ وما هي الاقتراحات التي نضمن بها الحفاظ على كيان الجيل الناشىء ، ومن ابناء المسلمين في انكلترا ؟

اما عدد المسلمين هناك فيزيد على مليون مسلم ويكاد يصل الى مليون ونصف تقريبا او اقل قليلا ، واغلب هؤلاء المسلمين قادمون من شبه القارة الهندية ـ الهند وباكستان وبنغلاديش والى عشر سنوات مضت لم يكن هناك جاليات عربية مستقرة الا من اليمن ، وتعتبر اليمن القطر العربي الوحيد الذي وجد منه جاليات مستقرة في بعض مدن انكلترا وبخاصة المدن الساحلية منذ بدء العقد الثاني من هذا القرن فقد استقرت جالياتهم في كارديف ، وليفربول ، وساوث شيلد ، وشيفيلد ، وبعض المدن الصغيرة المحيطة بهذه المدن مثل بارتي ايلند ، ونيو بورت بالقرب من كارديف ، وبلاك بول بالقرب من شيفيلد ، وهم يباشرون حياتهم في مهاجرهم كما كانوا يباشرونها في اليمن بدون تغير يذكر في اسلوب هذه الحياة ، وقد حافظوا على صلاتهم بوطنهم الام ، حتى انهم يبعثون بأولادهم الى اليمن من وقت لاخر ليقضوا هناك فترات كافية يتعلمون فيها اللغة العربية ، ويتعرفون على اسلوب الحياة في اليمن كما كان منذ مئات السنين ، ثم يعودون الى انكلترا لاستئناف حياتهم هناك محافظين على صلاتهم بالوطن الام ، وقد حرص اليمنيون على اقامة مساجد في المدن التي عاشوا فيها فلهم في مدينة كارديف مسجدان بني اولهما منذ عام ١٩٤٦ من اموالهم الخاصة بدون اي معاونة من اي دولة عربية وقد بلغ من نشاطهم في كارديف في الخمسينات ان اسسوا جريدة تصدر باللغة العربية ومطبعة عربية وسموا الجريدة والمطبعة جريدة السلام ومطبعة السلام ، وطبعت بعض الكتب باللغة العربية ومنها كتاب .. دين الله واحد .. للشيخ عبد الله الحكيمي الذي يعتبر اكثر اليمنيين المهاجرين على الاطلاق علما ومعرفة ونشاطا .

من الهند ايضا

وفي السنوات الاخيرة ازداد عدد الوافدين من البلاد العربية واستوطنوا انكلترا من الاطباء والمهندسين والفنيين وسواهم ويمكن ان يقال انه لا تخلو مستشفى بانكلترا سواء في المدينة او في الريف من طبيب مصري او اكثر واصبح لهم مشاركة في تشكيل مستقبل المجتمع الاسلامي في انكلترا ... وهم يتسابقون في اقامة المساجد السنني تتولى امور الامامة وفصول للتعليم في احيائهم ويجمعون التبرعات من انفسهم ويتجهون الى حكام المسلمين في البلاد العربية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يطلبون مساعداتهم وربما يحتاج هذا الامر الى تنظيم يجعل الفائدة منه مؤكدة ولهذا ارى ان تؤلف لجنة تسمى لجنة الخدمات الاسلامية بانكلترا من اعضاء يمثلون الدول التي تتبرع عادة لهذه المشروعات وممثل من المركز الاسلامي والمجلس الاسلامي الاوروبي .

مصاعب

واجه المسلمون في مبدأ امرهم بعض المصاعب التي تنشأ عادة عن اختلاف اسلوب الحياة في مجتمعاتهم التي هاجروا منها عن أسلوبها في المجتمعات التي استقروا فيها ويدخل في نطاق هذا الاختلاف تباين النظرة الى القيم والسلوك والعقائد والاخلاق والحلال والحرام وتتلخص هذه المصاعب في الحصول على الطعام الحلال وفي وجود المكان المناسب لاداء العبادات ، وفي التعرف على الوسيلة النافعة لتعليم النشء مبادىء دينهم وتربيتهم على الاخلاق والمثل الاسلامية السامية ، وقد كان سهلا التغلب على الصعوبة الاولى وهي مشكلة الطعام فوجد عدد من المسلمين فتحوا المطاعم والمتاجر واماكن ذبح المواشي ، وبقدر ما حقق ذلك من الراحة لجماعة المسلمين في انكلترا بقدر ما در الربح الطائل لاصحاب هذه الاعمال اما المشكلة الثانية فقد حلت جزئيا باتخاذ اماكن تؤدى فيها الصلوات وتقام الاجتماعات في كل حي من احياء لندن والمدن الكبرى في انحاء انكلترا الا ان ذلك يحتاج الى تنظيم واعداد يهيء المكان المناسب والشخص المناسب

والفتوى ، فقد اضطر الناس الى قبول ادنى مستوى من المعرفة الدينية ليقوم بامر الامامة ، ولهذا ينبغي ان ينشأ جهاز يسمى جهاز الدعوة والامامة ، يقوم على امر لجنة من العلماء تحت رعاية المركز الاسلامي واشراف من جامعة الأزهر والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من الجامعات الاسلامية الرائدة في العالم الاسلامي

المشكلة الثالثة مشكلة التعليم والحقيقة ان هذه المشكلة هي اكثر المشكلات الحاحا واشدها احتياجا الى وضع الخطط الثابتة والمناهج المستنيرة التي تضمن للنشىء الجديد من المسلمين ثقافة تساير معارف العصر وتوقفه على الحقائق السامية التي يزخر بها الاسلام ويستطيع بها ان يباهي ارقى ما عرفت الدنيا من نظم ومبادىء وان يقف شامخا معتزا باسلامه .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية